السنن الالهية في التداول الحضاري

تنبع اهمية الكتابة في علم السنن الإلهية في التداول الحضاري للأمم والجماعات، والمستوحى من قوله تعالى : (وتلك الايام نداولها بين الناس)[1] . من حاجتنا الماسة اليه اليوم _ نحن المسلمون _ كوننا نعيش في ظل هيمنة الحضارة الغربية المعاصرة على العالم .

وفي الوقت نفسه نحاول ان نستعيد دورنا وموقعتا الحضاري في صدارة دول العالم ، كقادة للبشرية نحو الخير والسعادة والامان ، بعد ان ذاقت وتذوق الشعوب والامم شتى انواع الظلم والطغيان على يد الحضارة الغربية المعاصرة الظالمة .

ولكن هذا لا يتأتى الا بمراجعة حساباتنا ، والتعرف على مواطن الضعف فينا ، ومن ثم معالجتها ، وايضا التعرف على مواطن القوة فينا ، ومحاولة تنميتها ، والسير على الارض _ كما امرنا بذلك القران الكريم _ عبر الازمان الطويلة للتاريخ البشري ، كيما نتعرف على السنن والقوانين التي تحكم الحياة الكون والانسان . والتي ستعرفنا على اسباب قيام امة وسقوط اخرى ، ولنتخذها طريقا لنا في اعادة بناء حضارتنا الاسلامية المنشودة .

حاولنا في هذا البحث ان نمضي قدما في الكشف عن السنن التي تسبب سقوط وقيام والحضارات ، معتمدين بالدرجة الاولى ، وبالمقام الاول ، على القران الكريم ، ونعم به مصدرا ، ونعم به هاديا للبشر نحو طريق الخير والسعادة ، وفيه الكفاية والكمال والتمام .

ومن المعلوم ان القران الكريم لا يهتم كثرا بالتفاصيل ، او الاسماء او الاحداث ، وانما هو شامل وعام في تغطيته ومعالجته للأحداث . لهذا استعنا ببعض المصادر والمراجع الاضافية ، لكي تفصل لنا بالأسماء والوقائع والاحداث ، ما كان من امر الحضارات والامم الماضية ، والسنن التي ادت الى نهوضها أو سقوطها .

وفي الحقيقة اننا وجدنا هذه السنن كثيرة، ولا يتسع بحثنا هذا للاحاطة بها، ولهذا اقتصرنا على بعض هذه السنن، والتي راينا من خلال الدراسة البحث انها اكثر اهمية وشمولا من غيرها ، وايضا اكثر وقوعا ، واهم سببا من السنن الاخرى .

وقد اقتصرنا في بيان اسباب النهوض الحضاري، على الاستشهاد بالحضارة الاسلامية فقط لما قامت به هذه الحضارة العالمية العظيمة من دور في التاريخ الانساني ، وايضا لأنها تخصنا _ نحن المسلمون _ بالدرجة الاولى ، عسى ولعل ان نأخذ بهذه الاسباب من اجل اعادة بناء حضارتنا المفقودة .

وايضا اقتصرنا في بيان اسباب السقوط الحضاري ، على الاستشهاد بالحضارات الاخرى، دون الحضارة الاسلامية ، لان تلك الحضارات قد انقرضت وانتهت وغدا من السهل الكلام عن اسباب سقوطها .

---

[1] سورة آل عمران ، من الآية –١٤٠

اما الحضارة الاسلامية فإنها لم ولن تنقرض لأنها حضارة الهية خالدة، والامراض الحضارية التي تصيبها ما هي منبهات ومحفزات لها للنهوض من جديد ، وها نحن اليوم نعيش صحوة هذه الحضارة التي طال سباتها .

وايضا فإننا عرجنا على الحضارة الغربية، والتي تمثل اليوم حضارة العالم، وبينا انها امتداد لحضارة الباطل وان عوامل السقوط والانهيار اخذة فيها .

وقد اشتمل هذا البحث على ثلاثة فصول ، تكلمت عن الفصل الاول عن علم السنن الالهية في حقيقته ، ومنشئة ، واهميته ، والنضرة الاسلامية اليه ، فضلا عن مبحث خاص عن خلود الحضارة الاسلامية ، كان ذلك في اربعة مباحث .

وفي الفصل الثاني ، تكلمت عن السنن التي اذا اخذت بها الامه فإنها تسير وبخطى صحيحة ، على طريق بناء حضارة مزدهرة وقوية . كان ذلك في خمسة مباحث، هي: الايمان بالله تعالى، والعدل، والحرية، والاعتزاز بالذات الحضاري، والاخلاق .

وفي الفصل الثالث ، تكلمت عن السنن التي اذا ما كانت علية الامة ، فأنها تخرب حضارتها بنفسها ، وتهدمها بيدها ، كان ذلك في خمسة مباحث ايضا ، هي : الكفر بالله تعالى، والظلم، والاستبداد، والقابلية للاستعمار، والفساد الاخلاقي .